

# سياسات الشمبانزي

## وتغيير المناخ

مملكة الحيوان يمكن أن تعلمنا دروسا مهمة عن أنفسنا وأن تزيد تعاوننا في مواجهة تغيير المناخ.  
روشير أغاروال

### يشارك

الهادفة إلى وقف تغيير المناخ والجوائح والتهديدات النووية. وتحديدا، واجه البشر تحديات هائلة لتحقيق درجة التعاون اللازمة لمكافحة تغيير المناخ - وهو ما يرجع جزئيا إلى أن جهود التخفيف من تغيير المناخ تعد سلعة عامة بطبيعتها. وحتى إن كان الجنس البشري لم يتطور بالدرجة الكافية، وهو الواقع على ما يبدو، فمن شأن تعزيز المؤسسات الاقتصادية والمالية المساعدة في التغلب على القيود التي تعوق التعاون والتصدي لتغيير المناخ وغيره من التحديات الرئيسية.

### الارتباط النفعي

ينبغي أن يُراعى في تصميم المؤسسات الاقتصادية والأسواق المالية الفصيلة الحيوانية التي ننتمي إليها، مما يمكن أن يساعد في التغلب على بعض القيود التي تعوق التعاون. وعبر فرانز دي فال عن ذلك بقوله «هل نحن حيوان اجتماعي أم حيوان أناني؟ هل نستجيب بشكل أفضل عند العيش فرادى أم جماعات؟ ... كل من يشارك في تصميم المجتمع الإنساني عليه أن يتعلم قدر الإمكان عن الجنس

الإنسان والشمبانزي في ٩٨٪ من الجينات. ورغم ذلك فإن البشر هم الجنس المهيمن على الكوكب - فهم من يؤسسون الحضارات ويطورون اللغات ويتعلمون العلم وينتجون أعمالا فنية رائعة. يقول المؤلف الأمريكي جاريد دايموند إن نسبة الاختلاف تلك البالغة ٢٪ هي الدافع وراء نجاح الإنسان، ولكنها ربما تكون السبب أيضا فيما نشهده من كوارث - حيث تتورط الحضارات في صراعات داخلية لإثبات تفوقها، مما يهدد بدمارها ودمار البيئة من حولها.

وكان العالم الهولندي فرانز دي فال المتخصص في علوم الرئيسيات وسلوك الحيوان قد استحدث مصطلح «سياسات الشمبانزي» عندما قارن أنماط التواصل والتخطيط بين حيوانات الشمبانزي في صراعها من أجل القوة بمثيلاتها بين السياسيين من بني الإنسان. فهل تطورنا بالدرجة الكافية بالفعل لتخطي «سياسات الشمبانزي» ومواجهة الخطر الأكبر على الإطلاق الذي يواجه الجنس البشري؟

والإجابة عن هذا السؤال قد تتنبأ بمستقبل هذا الكوكب وتقدم لنا دروسا للاستفادة بها في دعم الجهود العالمية

### تخطي سياسات الشمبانزي

قد تساعد المؤسسات الاقتصادية السليمة والأسواق محكمة التصميم في التحرر من القيود التي تمنع التعاون البشري — بما في ذلك من خلال تحديد وتعظيم أوجه الارتباط النفعي. ومن هذا المنطلق، يمكن أن تتولى المؤسسات الاقتصادية والمالية تصور وتصميم أساليب جديدة يمكن للبشر من خلالها التعاون فيما بينهم من أجل المصلحة العامة بموجب التزامات متبادلة. ويمكن أن نستمد من علم الأحياء التطوري سبعة مفاهيم للاسترشاد بها في تصميم المؤسسات الاقتصادية والأسواق المالية. وتتلخص المفاهيم الأربعة الأولى بتخفيف التغيير المناخي، والمفهومان التاليان بالتأقلم، والأخير بمراقبة أهم المخاطر المناخية.

## قد تساعد المؤسسات الاقتصادية السليمة والأسواق محكمة التصميم في التحرر من القيود التي تمنع التعاون البشري.

- **سنؤدي زيادة التكامل العالمي بين الأسواق الاقتصادية والمالية إلى تعزيز التعاون في مواجهة تغير المناخ.** بالنسبة لحيوانات الشمبانزي البرية، تعد الروابط الاجتماعية من أهم عوامل التنبؤ بالتعاون الذي عادة ما يتم من خلال تقاسم الموارد. فحيوان الشمبانزي سيفضل تقاسم طعامه على الأرجح مع شريكه الذي يتولى مهمة تنظيفه منذ أمد بعيد على أي شمبانزي آخر. وفيما بين البشر، يحد الاعتماد الاقتصادي المتبادل بين بلدين من خطر الحروب. وقال الفيلسوف مونتيسكيو عام ١٧٤٨ «إن التأثير الطبيعي للتجارة هو تحقيق السلام. فأبي بلدين تربطهما مفاوضات يصبح بينهما اعتماد متبادل». ويرجع ذلك إلى أن التحالفات التجارية تنشأ عنها حوافز مالية تشجع على الحفاظ على السلام مع الشركاء التجاريين بل حمايتهم من أي هجوم لتجنب تعطل حركة التجارة. ومن هذا المنظور، يمكن أن تساعد زيادة التكامل العالمي في مجال التجارة على تجنب الصراعات وتعزيز التعاون — بما في ذلك في مواجهة تغير المناخ.
- **يتعين مساءلة الأطراف الأصغر وإشراكها في مواجهة تغير المناخ.** فكما نتعلم من مملكة الحيوان، فإن ضعف منظومة عقاب الأطراف غير المتعاونة يعطيها حافزا كبيرا على الخداع. وفي كفاحننا ضد تغير المناخ، نتاح للمجتمع الدولي أدوات قليلة لضمان التزام البلدان بتعهداتها المناخية الدولية. وتتعين مواصلة العمل على تعزيز سيادة القانون الدولي، مع إمكانية تنفيذ حل مواز يتمثل في الحيلولة دون مركزية المشكلة من خلال تشجيع الحكومات دون المركزية والشركات

البشري». ويكتسب ذلك أهمية خصوصا عندما يتعلق الأمر بالتعاون في مواجهة تغير المناخ.

ويمكن أن ينشأ السلوك التعاوني عن طريق الانتخاب الطبيعي إذا كان بقاء الطرف الفاعل يرتبط ارتباطا موجبا ببقاء الطرف المتلقي. ويمكن أن يتحقق مفهوم الارتباط النفعي في صورتين رئيسيتين، وهما القرابة (أي وجود جينات مشتركة بين الشركاء لانحدارهم من نفس الأصل) وتبادل المصالح (أي تحمل تكلفة في الوقت الحالي مقابل منفعة مستقبلية متوقعة).

وتشير شواهد متزايدة إلى أن التعاون في المجتمعات الحيوانية ينشأ غالبا بسبب القرابة (كاشترك شقيقين من حيوانات الشيتا في الصيد، الصورة ١-أ). أما التعاون بين حيوانين لا تجمعهما صلة قرابة فغالبا ما يكون مقابل منفعة فورية يحصل عليها أحد الطرفين أو كلاهما على الأرجح (يظهر في الصورة ١-ب اثنان من حيوانات الشمبانزي منمهمكين في تنظيف بعضهما البعض، وتتنقل أسماك الريمورا على ظهور السلاحف البحرية في الصورة ١-ج).

وفي بعض الحالات، يبدو أن التعاون بين الحيوانات قد يكون في صورة أفعال إيثارية. فرغم أن اختيار عدم المساعدة عادة ما يخدم مصلحة الفرد الشخصية على المدى القصير، قد يعني ذلك عدم تلقي المساعدة من الآخرين مستقبلا. وهو ما يكون دافعا وراء السلوكيات الإيثارية بين الأفراد الذين توجد بينهم تفاعلات متكررة (قطع من قرود البابون في الصورة ١-د).

والقصور الإدراكي قد يحد من قدرة العديد من الكائنات غير البشرية على تكوين علاقات استراتيجية إيثارية متبادلة والحفاظ عليها. وعلى العكس، تطورت عقولنا بدرجة كافية للتغلب على هذه المعوقات الإدراكية والدخول في تعاملات اقتصادية ومالية معقدة وتحقيق نتائج وإنجازات من خلال التعاون فيما بيننا. وتنتشر مبادلات الموارد بين البشر من غير الأقارب، وغالبا ما يوجد فاصل زمني طويل بين تقديم المساعدة وتلقيها ومجال كبير للغش والخداع. ويعرف ذلك في الاقتصاد بمصطلح «التجارة عبر الفترات الزمنية» (وليس «الإيثارة»).

غير أنه عندما يتعلق الأمر بالكفاح العالمي ضد تغير المناخ، توجد أربعة عوامل على الأقل تعوق التعاون بين الجنس البشري. فنظرا لأن مكافحة تغير المناخ تتطلب تعاوننا عالميا حقيقيا (بين البلدان من أقصى الكوكب إلى أقصاه وبين الأجيال الحالية والمستقبلية)، فإن وجود أطراف عديدة دون رابط قرابة بينها يمثل عائقا كبيرا. كذلك فإن الفواصل الزمنية الطويلة بين التفاعلات التعاونية المتبادلة تجعل من الصعب على الأفراد تصور إمكانية تحقيق أي مصالح متبادلة من وراء هذا التعاون. ويحد عدم المساواة الجغرافية من منافع التعاون المتبادلة. وأخيرا، هناك حدود لمدى تطور خيالنا وتصوراتنا، فنحن غير قادرين على فهم تنوع المعتقدات أو إدراك حجم التهديدات المناخية على سبيل المثال.



الصورة ١-أ



الصورة ١-ب

مراعاة منفعة الأجيال المستقبلية صراحة عند تحليل تكاليف ومنافع أي إجراءات تتخذ على مستوى الحكومة أو الشركات أو الأفراد. وهو ما تفعله عدة بلدان بالفعل، مثل بوتان، كجزء من أطر سياساتها. ويمكن اتباع نفس المنهج في التعامل مع مجموعة أكبر من القضايا - بما في ذلك من خلال التشجيع على زيادة تمثيل الأفراد الأصغر سنا في الحياة السياسية وبناء مؤسسات معنية بالسياسات التي تركز على قضايا المدى الطويل، مثل عدم المساواة بين الأجيال (التي تتجاوز النطاق الزمني للدورة الانتخابية).

#### • التعاون في مجالات الابتكار قد يكون أكثر سهولة

من التعاون في القضايا الأخرى المرتبطة بالمناخ. يتضح من تجربة كوفيد-١٩ أن الابتكارات العالمية يمكن تطبيقها على نطاق واسع عند اللزوم - بما في ذلك من خلال صور تعاون غير مسبوقه بين أطراف عديدة حول العالم. فقبل جائحة كوفيد-١٩، استغرق استحداث أسرع لقاح على الإطلاق ٤ سنوات (مرض النكاف). ولكن مع نهاية عام ٢٠٢٠، أثبتت عدة لقاحات مضادة لفيروس كوفيد-١٩ فعاليتها، وهو ما يعكس قوة جهود البحث والتطوير المبذولة. غير أن التعاون العالمي من أجل إنتاج اللقاحات والتوزيع العادل لها يستغرق وقتا أطول كثيرا. ورغم منطقية الشواهد المؤيدة لرفع ضرائب الكربون لمكافحة تغير المناخ، ثبت أن هذا الأمر يصعب تنفيذه من الناحية السياسية في العديد من البلدان. وفي الوقت نفسه، فإن التحول إلى الطاقة المتجددة مؤخرا يرجع أساسا إلى التطورات التكنولوجية السريعة التي أدت إلى تراجع تكلفة الطاقة المتجددة. وإذا كان تطور قدرة الإنسان على التعاون ومواجهة تغير المناخ أبطأ وتيرة مقارنة بقدرته على إلحاق الضرر بالكوكب، فقد نحتاج إلى تسريع وتيرة الابتكارات في مجال الطاقة النظيفة لتسهيل اتخاذ القرارات المراعية للبيئة على الأفراد الراغبين في ذلك حرصا منهم على مصلحتهم الشخصية. وسيساهم ذلك في زيادة المنفعة الشخصية المتحققة من التحول إلى مصادر الطاقة الأكثر حفاظا على البيئة في حالة عدم اتخاذ إجراءات عامة فعالة.

#### • الحاجة إلى سوق عالمية مركزية للححوظ من

مخاطر المناخ وتحقيق أقصى درجات تقاسم المخاطر وتعزيز التعاون عبر البلدان. رغم أننا نبذل أقصى ما في وسعنا للتخفيف من حدة التغيرات المناخية، ستبقى على الأرجح بعض المخاطر التي سيتعين التأقلم معها من خلال بعض التدابير. ويتمثل أحد سبل التأقلم في تقاسم المخاطر للحد من الضرر الواقع على الأطراف الفردية. فتقاسم الغذاء بين قرود الشمبانزي يعد استراتيجية ناجحة للغاية في مواجهة المخاطر المتفردة (فقد يوجد طعام كاف للقطيع ككل بغض النظر عن نجح منه في الصيد في أي من

على التعهد بالتزامات مناخية وبيئية أيضا. وتساهم اللامركزية في تعزيز نظام المساءلة في المجتمعات الأصغر. فعلى سبيل المثال، تعهدت شركات خاصة عديدة بتحديد أثر الكربون استجابة لضغوط عملائها ومساهميها وغيرهم من أصحاب المصلحة، حتى وإن لم تتعهد البلدان التي تعمل بها هذه الشركات بالتزامات مماثلة.

#### • مراعاة مصلحة الأجيال المستقبلية في تحليلات

التكلفة-المنفعة. نجد ظاهرة خصم المنافع المستقبلية أكثر وضوحا في عالم الحيوانات غير البشرية منها في عالم البشر. ولكن البشر الذين يفتقرون إلى فهم كاف لمختلف القضايا عادة ما يخضمون جانبا كبيرا من المنافع المستقبلية أيضا. وتحديدا، فإن الفاصل الزمني الطويل بين قرار تخفيف حدة تغير المناخ وأثار هذا القرار قد يحول دون ضخ استثمارات فعالة في هذا المجال، نظرا لأن الآثار ليست ملموسة بشكل كاف. ويمكن موازنة تأثير هذا الفهم القاصر من خلال

التعاون بين الحيوانات:  
شقيقان من حيوانات الشيتا عقب رحلة صيد في محمية ماساي مارا في كينيا (الصورة ١-أ)، واثنان من قرود الشمبانزي لا تربطهما صلة قرابة ينظفان بعضهما البعض في غابات كيبالي بأوغندا (الصورة ١-ب).



الصورة ١-ج



الصورة ١-د

سكتان من فصيلة الريمورا  
تجوبان البحر على ظهر  
سلحفاة بحرية في هندوراس  
(الصورة ١-ج)، واثنان من  
قردو البابون يقتسمان ذرة  
مسروقة في غابات كاكامبغا  
(الصورة ١-د).

عدد قليل من محطات المراقبة المستمرة لجودة الهواء. وبالمثل، في حالة زيادة الوعي بالآثار الاجتماعية-الاقتصادية المرتدة (كالتأثير المحتمل لانتقال اللاجئين الذين نزحوا من بلدانهم بسبب تغير المناخ إلى البلدان مرتفعة الدخل)، قد يُنظر للتغيرات المناخية المؤدية إلى إغراق الأراضي المنخفضة باعتبارها أقرب إلى أن تكون مشكلة عالمية. لذلك فإن زيادة الإفصاح عن القضايا البيئية يساهم في دعم المعرفة والتصورات ذات الصلة ويتيح دراسة الآثار المرتدة التي قد تواجهها في المستقبل البعيد، وهو ما يمكن أن يجعل من تغير المناخ العالمي مشكلة أكثر إلحاحا في نظر الأطراف الفاعلة الرئيسية ويشجعها على اتخاذ إجراءات فورية في هذا الصدد. وفي نهاية المطاف، ربما يكون ما يميزنا حقا عن الأجناس الأخرى هو قدرتنا على التخيل ورغبتنا في التواصل مع الآخرين. **FD**

روشير أغاروال اقتصادي أول في صندوق النقد الدولي.

الأيام). وبالمثل، تنجح أسواق التأمين بين البشر في التحوط ضد المخاطر المتفردة كحوادث السيارات والصدمات الصحية والوفاة. ولكن عندما يرتبط الخطر بأطراف عديدة (كالمخاطر التي تهدد الممتلكات نتيجة الكوارث الطبيعية)، يصبح ذلك «خطرا جماعيا» لا يمكن التأمين ضده إلا من خلال سوق عالمية. ومن هذا المنظور، فإن وجود سوق ناجحة لتقاسم مخاطر المناخ يتطلب بدوره وجود منصة عالمية موحدة للاستفادة من تزامن الاحتياجات. ومن المهم أن تضم هذه المنصة العالمية المركزية كيانات من جميع أنحاء العالم حتى وإن اختلفت من حيث طبيعة أو توقيت تأثير تغير المناخ عليها (أي حتى وإن لم يوجد ارتباط كبير فيما بينها).

• **يتعين العمل على تقاسم المخاطر المناخية الآن - حتى قبل أن يتضح نصيب كل بلد من توزيع تداعيات تغير المناخ.** فالخفاش مصاص الدماء يحتاج إلى الكثير من الغذاء للحفاظ على بقائه، فإذا لم يتمكن من الحصول على مصدر للغذاء لثلاث ليالٍ متتالية، قد يتضور جوعا حتى الموت. ولمواجهة هذا الخطر، استحدثت الخفافيش نظاما للتبادل، حيث تقوم الخفافيش التي نالت نصيبا وفيرا من الغذاء بإفراغ الدماء مباشرة في أفواه الخفافيش الجائعة دون أن تربطها بها صلة قرابة. بل إن الخفافيش ترصد أقرانها التي قدمت لها يد المساعدة في السابق لتكون أول من يتقاسم الغذاء معها. فعدم يقين الخفاش مما إذا كان سيجد ما يسد به جوعه غدا يجعل لديه حافزا على تقاسم طعامه مع غيره اليوم. وبالمثل، فإن اضطلاع الأسواق بدور أكبر في التحوط ضد مخاطر تغير المناخ الأشد وطأة يتطلب منها اتخاذ إجراءات فورية قبل أن يتضح تأثير تغير المناخ عبر البلدان. فعقب تحقق الخطر، تتحول المشكلة من تقاسم الخطر إلى تقاسم العبء. وبعبارة أخرى، إذا اتضح أن البلدان الفقيرة نسبيا (كبلدان المناطق الاستوائية على سبيل المثال) ستتحمل القدر الأكبر من المعاناة نتيجة تغير المناخ مستقبلا، لن يكون لدى البلدان الأكثر ثراء حافز كبير على إبرام اتفاقيات لتقاسم المخاطر معها.

• **الاستثمار في المعلومات والخيال.** لن تتخذ الأسواق أي إجراءات على الأرجح لتقاسم المخاطر ما دامت المعلومات المتاحة للمواطنين عن ماهية هذه المخاطر محدودة. ففي الهند على سبيل المثال، تعيش نسبة كبيرة من السكان في مناطق يتجاوز متوسط مستويات التلوث السنوية فيها (مقيسة بحجم الجسيمات الدقيقة التي يبلغ قطرها أقل من ٢,٥ ميكرون والمعروفة باسم PM2.5) المستوى الآمن الذي حددته منظمة الصحة العالمية بعدة أضعاف. غير أن معظم هؤلاء السكان لا يدركون هذه المخاطر، نظرا لأن الهند لا تملك سوى